منهج البحث اللغوي عند الفارابي (339هـ) في كتابه ((الحروف))

د. مثنى يوسف حمادة
الكلية التربوية المفتوحة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه الغر الميامين . أما بعد..

هذا هو الفارابي أبو نصر محمد بن محمد ، الفيلسوف العالم المعلم الثاني ، صاحب النظريات الفلسفية والحجج المنطقية وهذه العناوين قد ألفناها حين يذكر الفارابي ، لكن الجانب اللغوي لم يأخذ اهتماما مثلما آخذه الجانب الفلسفي لذا دفعني الشوق إلى دراسة المنهج اللغوي عنده وتركزت دراستي على البحث في الجانب اللغوي بعد أن بحثت في عنوان (الحروف) و علاقته بالمضمون والذي وجدته إن العنوان لم يغط المضمون ، وكانت محاولتي عبارة عن التقاط البارز وما يتعلق باللغة في الكتاب وتركت الحوارات الفلسفية والمنطقية لأصحاب الاختصاص . وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

((الفارابي وثقافته))

هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرفان الفارابي ، ولد في(فاراب) على نهر جيحون سنة(260هـ)(1) . عربي الموطن والمربى ، عربي اللغة والثقافة ، تظهر ثقافته العربية في مؤلفاته التي ناهزت مئتي كتاب ألفها كلها باللغة العربية . ولما كانت العروبة هي اللسان كما في الحديث الشريف ((ليست العربية بأب ولا أم إنما العربية اللسان)) فان الفارابي يعد من العلماء العرب(2)، وإن كان البعض قد نسبه إلى غير العرب . ولم يبق الفارابي في مدينة ((فاراب)) التي ولد فيها بل رحل عنها صغيرا إلى بغداد واتخذها موطنا له ، فبرزت قابليته العلمية ببغداد وذاعت شهرته فيها . وقد درس في بغداد مختلف العلوم فدرس على يد يوحنا بن حيلان ومتي بن يونس وابن السراج . فقد اخذ الحكمة وصناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان وتعلم منه إلى آخر كتاب البرهان(3) . وأما

متي بن يونس فأخذ عنه طريق تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة منه فقد كان يحضر حلقته ويستفيد من محاضرته(4)، وأما ابن السراج فقد كان الفارابي يجتمع به فيقرأ عليه صناعة النحو وهو يقرئ ابن السراج صناعة المنطق(5).

وقد افاد الفارابي من هؤلاء الأساتذة واقتبس من دروسهم ومعارفهم ونحا نحوهم في التفكير والتعبير فتأثر بأسلوب متي بن يونس في سهولة البيان ووضوح التعبير واقتدى بهدي ابن السراج في النحو المنطقي . توفي الفارابي سنة (339هـ) في دمشق أيام سيف الدولة الحمداني . ترك الفارابي ما يزيد على مئتي كتاب في العلم والفلسفة والمعرفة والسياسة والأدب واللغة والاجتماع والأخلاق والموسيقى والرياضيات كتبها كلها باللغة العربية ، مع انه كان يتكلم التركية والفارسية واليونانية وقد ألف بالعربية لأنها لغة التكلم والدراسة والكتابة والتأليف وقد عرف بالمعلم الثاني لأنه شرح مؤلفات أرسطو الذي يعد المعلم الأول والذي يهمنا في البحث هذا هو العلاقة بين الفارابي واللغة العربية وفنونها لاسيما المباحث اللغوية التي من الممكن إن نجدها ثرية في كتابه الحروف وهو الفيلسوف الذي جعل العربية لغة علمه ولسانه وأروميته حين قال (فأن جلها ليست لها أسماء عند أهل لساننا)(6). لقد اتخذها لغة التخاطب ولغة التعليم ولغة التأليف وألفها لغة التعبير عما يختلج في حناياه وعما يجيش في صدره ويرشح به فكره ويوحيه إحساسه ويفيض به شعوره وينفثه قلمه ، وهكذا أمدته العربية بمادة البيان وزودته أساليبها طرائق التفكير والتعبير وبلغ من مقدرته انه وضع الاصطلاحات والمواصفات واستعمل من التراكيب والمفردات في فنون المعرفة والعلم ما يصح أن يدرج في معجم لطيف . ولا يفوتنا أن نقول إن القران الكريم كان ينبوعه الأول وهو الذي ناجى الله بالعربية وكانت لغته في مظان الحاجة إذا خالجته الهموم وهي عنده لغة النطق والتعبير والشعور والتفكير .

((كتاب الحروف))

قال سيبويه (الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)(7). إن هذه الإشارة لمعنى الحرف تعد أقدم نص عرف بين النحاة في تحديد معنى الحرف . وظل المعنى هذا شائعا بين النحاة بعد سيبويه ، فهذا المبرد يصفه بالقول (وحرف جاء لمعنى)(8) . وتعددت الآراء في ذلك ويمكن أن نلخص القول فيه أن المعنى المدلول عليه بالحرف لا يقوم بلفظ الحرف وإنما يقوم بما يتعلق به الحرف من الأسماء والأفعال . فمثلا أن دلالة (من) على الابتداء (وقد) على التحقيق وهناك معان ترتبط بهذه الأحرف من ألفاظ الجملة لا في الحرف نفسه . ويبقى المطلوب

هو معنى الحرف ذاته . وقد أنكر السكاكي أن يكون الابتداء والانتهاء والغرض من معاني (من)و(إلى)و(كي) . إذ لو كانت هي معانيها ، والابتداء والانتهاء والغرض أسماء كانت هي أيضا أسماء(9). ولعل رضي الدين الاسترابادي هو أقرب النحويين لفهمه معنى الحرف وتمييزه بين معاني الأسماء والحروف فحد بقوله (فالحرف وحده لا معنى له أصلا ، إذ هو كالعلم المنصوب بجنب شيء ليدل على أن في ذلك الشيء فائدة ما فإذا افرد عن ذلك الشيء بقي غير دال على معنى أصلا ، فظهر بهذا أن المعنى الانفرادي للاسم والفعل في أنفسهما ، وللحرف في غيره)(10). وقد ظهر معنى الحرف بدلالة شمولية على الألفاظ سواء أكانت حروف معان أم أسماء أم أفعالا وقد تردد مثل هذا الاستعمال عند سيبويه(11). وكتب أخرى من العربية . وجاء الفارابي ليقصد المعنى ذاته، فأنه لم يقتصر بتسمية كتابه على الحروف فحسب ، بل تناول ألفاظا مختلفة من الكلام ومسائل متنوعة في اللغة ، ففي كتابه هذا (الحروف) نجد حديثا عن الأسماء أو عن الجمل أو الافعال ، فتناول ألفاظا كالجوهر والعرض والموجود وأين ومتى وكيف وأي ، وتحدث كذلك عن بعض أفعال الكون (كون . يكون) وقد صرح الفارابي بذلك حيث قال : (وليس . يعني الفعل ليس . يرتبه كثير من أصحاب النحو في الكلم لا في الحروف وكذلك كثير مما سنعده في الحروف نرتب هذه الأشياء بحسب الأنفع في هذه الصناعة التي نحن بسبيلها) .

ويبقى السؤال عن عنوان (الحروف) وماذا يعني به الفارابي إذ أن محقق الكتاب (محسن مهدي) قد تناوله بشكل دقيق وأرجع التسمية إلى رأيين ، أولهما أن الفارابي جاء بكتابه (الحروف) ليفسر كتاب أرسطو طاليس الموسوم (الحروف) وهذا الرأي من الصعوبة إثباته لأن أسم أرسطو هو أسم اصطلاحي وهي تعني حروف التهجي ووضعت عنوانا لكتاب يبحث في أمور ما بعد الطبيعة(12) . أما الرأي الثاني فأن المحقق يميل إلى أن الفارابي قد بحث في كتابه (الحروف) في حروف المعاني وهو الجزء الأكبر منه، وأن كان تعريفه للحرف قد تجاوز ذلك إلى الأكبر منه ، و إلى بعض الأسماء والأفعال ، والذي يهمنا أن الكتاب قد ألف في العربية فشمل النحو والصرف والدلالة إضافة إلى المنطق والفلسفة ولا غرابة في ذلك كون الفارابي فيلسوفا قبل أن يكون نحويا أو لغويا ، وقد جاءت لغته من خلال دراسته على يد أشهر علماء النحو في زمانه ، فهو تلميذ المبرد (285هـ) وعاصر وأجتمع بعلماء زمانه من النحويين منهم ابن السراج (316هـ) والزجاجي (337هـ) وابو سعيد السيرافي (368هـ) وقد نقل أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر ابن السراج فيقرأ عليه صناعة المنطق(13). والملاحظ أن الفارابي لم يذكر السراج بالاسم في كتابه هذا لكن آراءه

واضحة لا سيما في مقالة الفارابي في نشأة اللغة عند العرب(14). وقد أشار المحقق إلى ذلك إضافة إلى أن عناوين الأبواب والفصول والفقرات هي من صنع المحقق وهي ليست جزءا من الكتاب وقد تضمن الكتاب ثلاثة وثلاثون فصلا وزعت على أبواب ثلاثة فالباب الأول جاء بعنوان (الحروف وأسماء المقولات) وفيه ثمانية عشر فصلا ، أما الثاني فهو بعنوان (حدوث الألفاظ والفلسفة والملة) وتضمن سبعة فصول وجاء الباب الثالث بعنوان (حروف السؤال) بثمانية فصول .

وهذه الأبواب الثلاثة عالجت المسائل اللغوية بطريقة المناطقة حيث لا تجد للأعراب آثرا أو إشارة إلى بعض أساسيات البحث النحوي كذكر العامل والمعمول وغير ذلك مما دأب عليه النحاة قديما أو حديثا ويبدو لي إن طريقة المناطقة في معالجة الأمور تنبني على التأمل العقلي وتتبع أنماط أجزاء العبارة فنراهم يبحثون في الموضوع والمحمول والكمية والكيفية والسلب والإيجاب والجوهر والعرض(15). فهم ينظرون إلى اللغة من خلال القوانين الكلية التي تخضع لها اللغات كلها بعيدا عن الجزئيات والاستقراء والوصف والفارابي من السباقين من العلماء العرب الذين تناولوا اللغة بهذه الطريقة الفلسفية وهذا الأسلوب المتين الذي يدل على ثقافته العالية وعلو منزلته . وهي بلا شك تمثل درسا مهما في الدرس اللغوي قدمه فيلسوف إسلامي خدمة للغة القران الكريم .

((المظاهر اللغوية في كتاب الحروف))

أولا : نشأة اللغة ووضع ألفاظها

تحدث الفارابي عن مسالة نشأة اللغة في فصل أسماء (أصل لغة الأمة واكتمالها) فقال فيه (فأن كانت فطر تلك الأمة على اعتدال وكانت أمة مائلة إلى الذكاء والعلم طلبوا بفطرهم من غير إن يتعمدوا في تلك الألفاظ التي تجعل دالة على المعاني محاكاة المعاني وأن يجعلوها أقرب شبها بالمعاني والموجود)(16). فقد تناول الفارابي في ذلك موضوع تدرج وضع اللغة وأثر الصناعة في وضع اللغة وقد توصل إلى إن مسألة وضع اللغة ترجع إلى وضع الألفاظ وقد عزى ذلك إلى إن الإنسان قد استعمل الإشارة أولا للدلالة ثم استعمل بعدها التصويت وأوله هو النداء ، فيجعل لكل مشار إليه محدود تصويتا ما محدودا ولا يستعمل ذلك التصويت في غيره . وتوسع في هذا الموضوع في فصل (أصل لغة الأمة واكتمالها) فقال (فيتفق إن يستعمل الواحد تصويتا أو لفظة دالة على شيء ما عندما يخاطب المنشئ الأول لتلك اللفظة ويكون السامع الأول قد احتذى بذلك فيقع به فيكونان قد اصطلحا وتواطأ على تلك اللفظة . فيخاطبان بها غيرها إلى إن تشيع عند الجماعة)(17) . وينبه الفارابي إلى إن معجم لغة الأمة بين فصحائها وبلغائها فيقول (فيحدث فيهم

رواة الخطب ورواة الأشعار وحفاظ الأخبار التي اقتصت بها فيكونون هؤلاء هم فصحاء تلك الأمة وبلغائهم ويكونون هم حكماء تلك الأمة أولا ومدبروهم والمرجوع إليهم في لسان تلك الأمة)(18) . ويتكلم الفارابي عمن تؤخذ اللغة فهو يرى إنها يجب إن تؤخذ من البادية ، وهذا الرأي السديد كان الأساس لكثير من الرواة في العربية . ويدقق في ذلك بأن تؤخذ مم يسكن في وسط البلاد لا أطرافها لابتعادهم عن الاحتكاك بغيرهم من الأمم إذا كانت الأمة تخلو ممن هو يسكن البراري . وما يخص أمة العرب فأن فيها من سكن البراري مبتعدا عن الأعاجم وذكر الفارابي أسماء القبائل العربية التي يحتج بكلامها وهي قيس وتميم وأسد وطي ثم هذيل(19) . وما ذكره الفارابي في تقويم لغات قبائل العرب قد اطلع عليه العلماء من بعده واعتمدوه في قياساتهم دون ذكر اسم الفارابي في المسألة سوى السيوطي فقد ذكره مضيفا إليه كلاما جديدا في كتابه (المزهر)(20) .

ثانيا : الاشتقاق

يرى الفارابي أن الألفاظ بعضها مشتق والأخر غير مشتق(21). وإن اللفظ قد يأتي شكله شكل المشتق ألا أن معناه ليس مشتقا . والمصدر عنده هو أصل المشتقات(22) . وقد أحتج بذلك فقال (وهذه تسمى عند نحويي العرب (مصادر) وهي تصرف في الأزمان الثلاثة . وما كان من هذه تدل عليها من حيث ينطوي فيها المشار أليه في موضوع فأنها كلها مشتقة) وضرب الفارابي أمثلة على ذلك فقال (فأنا نقول " انه إنسان ظاهر الإنسانية " و " رجل بين الرجولية " فيكون ذلك شبيها بقولنا " هو ابيض بين البياض " و " هو عالم تام العلم " فتكون " الإنسانية " مصدرا والرجولية مصدرا أو قائما مقام المصدر)(23) .

فالمصدر عند الفارابي هو المصدر لأنه يدل على معنى مفرد بسيط وغيره يدل على معنى مركب والمفرد البسيط أصل للمركب(24). وكل مشتق يدل على معنيين هما المعنى الأول الذي دل عليه المصدر والمعنى الأخر هو المعنى الذي أشتق بسببه ذلك اللفظ وجاءت بنيته دالة عليه كدلالة اسم الفاعل . مثلا على المعنى المجرد الذي دل عليه المصدر وعلى الذات المتلبسة بهذا المعنى(25). ويرى الدكتور عدنان وينتقل الفارابي إلى الحديث عن المشترك اللفظي وينحو في ذلك منحى فلسفيا فهو يفضل أن لا يكون الاسم له دلالة خاصة به . ومثال قوله (مثل اسم العين، فانه اسم لأنواع كثيرة ويقال عنها باشتراك ، ثم يقال عن كل ما تحت نوع بتواطؤ ، وقد يمكن إن يقال انه اسم يقال باشتراك)(26). ويقر الفارابي إن المعاني تتراكم وتظهر على اللفظة بتقادم الزمن (والمعاني المنتزعة هي متأخرة بالزمان عنها من حيث يوصف بها المشار إليه ومن حيث ينطوي

فيها بالقوة المشار إليه)(27). ولا ينس الفارابي إن يضيف إلى هذا الموضوع مسألة اختراع الألفاظ والسبب الرئيس هو (الفرع) وهو سبب مهم لحدوث الأصوات أما الألفاظ فهو يرى إن من يدبر أمر الجماعة البشرية قد يتدخل في وضع اللغة (فلا يزال منذ أول ذلك يدبر أمرهم إلى إن توضع الألفاظ بكل ما يحتاجون إليه في ضرورة أمرهم)(28).

ثالثا : المصطلح

المصطلحات العلمية عند الفارابي هي إما يرتجلها ارتجالا وإما إن تنقل من ألفاظ موضوعة لمعان لغوية قريبة من المعاني الاصطلاحية المستحدثة والأسلوب الأخير عنده أجود من الأسلوب الأول (لكن الأجود أن تسمى القوانين بأسماء أقرب المعاني شبها بقانون من قوانين الألفاظ فيسمى ذلك الكلي وذلك القانون باسم ذلك المعنى)(29). والألفاظ المستعملة في المصطلحات العلمية عند الفارابي لها معنيان ، الأول لغوي والثاني اصطلاحي والمعنى اللغوي مرتبط بالدلالة الوضعية إما المعنى الاصطلاحي فهو معنى ثان نقل إليه اللفظ عن المعنى الوضعي الأول وذلك ليعبر به عن مصطلح ما من المصطلحات العلمية مثل النحو والأعراب والصرف والبلاغة .(والألفاظ الأولى هي الألفاظ التي في الوضع الأول فالألفاظ التي في الوضع الثاني منقولة عن المعاني التي كانت تدل عليها)(30). فهذه الألفاظ وغيرها من ألفاظ المصطلحات لها معنيان الأول لغوي مرتبط بأصل الوضع والثاني : اصطلاحي اكتسبته بنقلها إليه في مرحلة من مراحل تطور الدلالة اللغوية . وينظر الفارابي إلى المصطلح نظرة المنطقي والفيلسوف لذلك نجده يبحث في ألفاظ هي اصطلاح النحويين من الأسماء مثل الجوهر والذات والشيء ويستعمل عبارات تكاد تكون غير مفهومة إذا أخذت على اصطلاح النحويين(31). مثل (حرف يوجد) و(حرف الوجود) ويشير إلى هذا الاختلاف بين المصطلح النحوي والمصطلح المنطقي بقوله(وكذلك كثير مما سنعده في الحروف يرتبه كثير من النحويين لا في الحروف لكن أما في الاسم أو في الكلم . ونحن إنما نرتب هذه الأشياء بحسب النفع في الصناعة التي نحن بسببها)(32). ولم يذكر الفارابي مصطلحات معينه لعلوم بذاتها وإنما تجد ذلك في كتب أخرى له حضي بها دراسة المصطلح ومنها كتابه (إحصاء العلوم) الذي تحدث فيه قائلا" (قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علما علما ، ونعرف ما يشتمل عليه كل واحد منها و ما في كل واحد من أجزاءه) ثم تطورت عنده الأفكار أكثر في كتابه(التنبيه على سبيل السعادة) وهو بذلك يعد من متقدمي علماء العرب في فهمه للفكر الموسوعي وللمصطلح

ألعلمي وكان أثره عظيما في أوربا(33). وقد أخذت المجامع العلمية واللغوية العربية في عصرنا بأفكار الفارابي وهي تمثل الأفكار خير تمثيل بما تضعه من ألفاظ ومصطلحات مأخوذة من العربية بإزاء المعاني المستجدة التي أوجبتها الحضارة الإنسانية المعاصرة(34).

رابعا : الحروف

لا يبحث الفارابي في كتابه(الحروف) جميع الحروف ولا أكثرها بل في عدد قليل منها والحروف التي يبحث فيها هي التي يسأل بها عن المقولات فيفضل البحث في بعضها ويختصره في البعض الأخر ، ويبحث في الأشياء المطلوبة بهذه الحروف وما ينبغي أن يجاب به فيها . وهي بلا شك من تتبعات الفيلسوف . ومن الأشياء المطلوبة بالحروف أسماء ليست حروفا ولا مشتقة من حروف بحسب معناها وهو الأمر الذي ينظر فيه المنطقي والفيلسوف وقد سمى الفارابي الحروف التي بحث بها بالحروف التي وضعت دالة على معان والتي يسميها نحويو العرب (حروف المعاني) بأساليبها المختلفة وسنذكر البعض منها مما تطرق له الفارابي في كتابه الحروف وحسب الأبواب :

أ . تحدث في الباب الأول وفي الفصل الأول منه عن(أن) وهو أول ما ابتدأ به كتابه ويبدو إن لها اهتماما عنده فهي تحمل معنى (الثبات والدوام والكمال والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء)(35). وقد ربط بين حالتيها في كسر وفتح همزتها مع ما يناظرها في اللغات الأخرى كالفارسية واليونانية فيقابلها في الفارسية الكاف المكسورة حينا والمفتوحة حينا أخر وفي اليونانية يقابلها (أن) و(اون) وهي للتأكيد لذلك يسمون الله (أون) وهي عند العرب لا تستعمل إلا في الأخبار فقط دون السؤال(36).

ب . الحرف (متى) :

وهو عنده (يستعمل سؤالا عن الحادث من نسبته إلى الزمان المحدود المعلوم المنطبق عليه وعن نهايتي ذلك الزمان المنطبقتين على نهايتي وجود ذلك الحادث)(37). وبتعريفه إلى هذا الحرف فانه لا يبتعد كثيرا عن رأي النحاة في (متى) حيث لم يصرح باسمها أو محلها وربط ذكرها مع الموجودات التي تحتاج إلى زمان وهو بذلك كمن يبحث في الدلالة أكثر من نحو الأعراب .

ج . حرف (ما) :

يقول الفارابي عنه(انه وما مقامه في سائر الألسنة إنما وضع أولا للدلالة على السؤال عن شيء ما مفرد)(38). ولا شك إن هذا الرأي يقترب من أراء اللغويين ، غير إن للفارابي رأي فلسفي

في هذا الحرف فهو عنده يبحث في اللفظ الدال على الحرف أو الكلام الذي يأتي جوابا عليه وهو يختلف عنده باختلاف الأمكنة التي يستعمل بها الحرف (ما) فهو يدخل على الكليات إذا سئل به عن محسوس كسؤالنا (ما هذا المرئي) أو (ما هذا الذي بين يديك) فالجواب يكون (انه شجرة) فالمدلول هنا هو كلي له معنى خاص يشتق من الجواب وله معنى عام يسمى جنسا وقد يقترن حرف (ما) بنوع من الأنواع بعدما يدل عليه اسمه الذي وضع أولا دالا عليه نحو (الإنسان ما هو) فالجواب سيكون مثلا (انه حيوان ناطق) ويستمر الفارابي بالسؤال عن جنس الجنس ويبحث في فروع الإجابة إلى أن يصل إلى قوله أن دلالة الحرف تتغير وتتوسع بتغير الإجابة وتوسعها(39). ثم يخلص في حديثه عن (ما) بأن الموضوع الأخير الذي يسأل عنه بما يسمى (الجوهر) وهو ما أصطلح عليه القدماء واتفق معهم فيه الفارابي(40).

د . حرف (أي) :

عرف الفارابي حرف (أي) بأنه (يستعمل أيضا سؤالا يطلب به علم ما يتميز به المسؤول عنه وما ينفرد وينحاز به عما يشاركه في أمر ما)(41). وتمعنا في قوله هذا فان هناك معنى أو معان أخرى لهذا الحرف وذلك من خلال لفظة (أيضا) وضرب الفارابي أمثلة عن ذلك منها (فنقول في الإنسان مثلا " أي حيوان هو " والنخلة " أي نبات هو ")(42).

والفارابي بأسئلته هذه كأنه يعني إن الحرف (أي) يستعمل للسؤال عن العاقل وغير العاقل ، وهذا ما عرف عنه النحاة . لكن الفارابي يسترسل في كلامه ويفرق بينه وبين (أما) فيقول (غير أن (ما) إنما يطلب به أن يعقل النوع المسؤول عنه في ذاته لا بالإضافة إلى شيء أخر)(43). وهذا الرأي ذكرته كتب النحو المتخصصة لأن (أي) تكتسب دلالتها من الاسم المضاف أليها . وهذا الفرق يحدده الفارابي بصورة أدق بقوله (لذلك صار الجواب عن حرف (ما) هو الجواب عن حرف (أي) بالعرض لا بالذات ولا على القصد الأول)(44). وهذا معناه أن السؤال بـ (أي) يحدد جنس المسؤول عنه ، مثل أي حيوان هو أو أي جنس هي والسؤال عن ما لا يقترن بالجنس بل هو مشترك . وقد أضاف لها استعمالا أخر هو (أن يعلم على التحصيل كانت العدة اثنين أو أكثر مثل قولنا " أي الآمرين نختار هذا أو هذا ")(45) .

ويربط الفارابي هذا الاستعمال على عدة محدودة فإذا سقطت العدة يرجع السؤال إلى بعض ما تقدم ما علم بجنسه وجهل بنوع الذي هذا جنسه ويضرب لنا مثلا في ذلك فالسؤال بصيغة (سيرة زيد أي سيرة هي) فهذا السؤال قد سقطت عنه العدة والمفروض أن يسأل بصيغة (زيد أي هذين

هو صالح أو طالح)(46). ومن الاستعمالات الأخرى وهي عنده يستعمل الحرف (هل) فيها غير إن السؤال بـ (هل) يتضمن (أم) في المقايسة أو المفاضلة بين اثنين ومثال ذلك عنده (أي هذين المحمولين يوجد أكثر من هذا الموضوع) و(هل هذا المحمول يوجد أكثر في هذا الموضوع أم المحمول الأخر)(47).

هـ . حرف (كيف) :

تطرق الفارابي إلى استعمالات حرف (كيف) وذكر مواضع استعمالها وان دلالتها تأتي من الموضع الذي تستعمل فيه وبدأ ذلك بقوله (أنا قد نقرنه بشيء مفرد وما يجري مجرى المفرد من المركبات التي تركيبها تركيب اشتراط وتقييد . فنقول (كيف فلان في جسمه) فيقال لنا (صحيح) أو (مريض) و(قوي) أو (ضعيف))(48). فالجواب على (كيف) يكون بلفظ مفرد أو مركب جاء بمعنى المفرد . كذلك يكون الجواب عن كيف بالجزئيات مثال قولنا (كيف بني الحائط) وربما يسأل بها عن نوع العمل ، فالجواب يكون بحسب الأسبق إلى ذهن السامع وأطلق الفارابي القول في ذلك (وهذا ليس شيئا إلا اقتصاص ما به قوام ذلك لمصوغ شيئا والأخبار عن انضمام عن شيء فيه إلى شيء إلى أن يحصل المصوغ . فما هذا الذي اقتص واخبر به عن ماهية تكونه ثم ماهيته هو)(49). ويستطرد في القول إلى إن السؤال بـ (كيف) عن نوع يخرج إلى مسألة الكيفيات والتي هي ماهيات الأنواع والماهية عنده (هي صيغ وخلق فهي التي بها شعائر الأنواع وهي الأسبق إلى المعارف أولا وبها تتميز الأنواع عندنا بعضها عن بعض)(50). وربط الفارابي في استعمال كيف مع (أي) ومع (ما) وأعتبر الجواب عنها هو بصيغة واحدة . ويفترقان في مسألة السؤال عن جنس الشيء . أما الفرق في الاستعمال بين (كيف) و(هل) عند الفارابي فأن استعمال الأولى يكون حيث يعلم السائل عن السبب . أما في استعمال (هل) فأن السائل لم يعلم الجواب ويكون الجواب بالسلب أو الإيجاب(51) . وهذه المسألة عند النحاة تعرف بالاستفهام التصديقي حين يكون الجواب بنعم أو لا ويكون الاستفهام تصوري حين يكون الجواب بكلمة أو جملة .

و . حرف (هل) :

قرن الفارابي وجود الحرف (هل) في الجملة الاستفهامية بوجود حروف الانفصال وهي (أو، أم ، أما) وما قام مقامها . ومثال ذلك عنده (هل زيد قائم أو ليس بقائم) وربما يضمر أكثر من ذلك حين يعلم السامع ما أضمره القائل كقولنا (هل يأتينا) و(هل يتكلم)(52). ومن الممكن أن تحل الهمزة محل (هل) وغالبا ما تكون ليس مع الهمزة كقولنا (أليس الإنسان بطائر)(53). والجواب سيكون بـ

(بلى) عند الإيجاب و(كلا) عند السلب وهذا ما صرح به الفارابي موافقا ألنحاة في ذلك . ويلخص الفارابي حديثه عن (هل) تحت عنوان الأسئلة الفلسفية بقوله (والسؤال بحرف " هل " هو سؤال عام يستعمل في جميع الصنائع القياسية . غير أن السؤال به يختلف في أشكاله وفي المتقابلات التي يقرن بها هذا الحرف وفي أغراض السائل بما يلتمسه بحرف (هل) فان في الصنائع العلمية إنما يقرن حرف (هل) بالقولين المتضادين وفي الجدول يقرن بالمتناقضين فقط)(54).

خامسا : السؤالات الفلسفية وحروفها

ربط الفارابي أصناف الحروف بالفلسفة وبالمذهب الوجودي حيث قال (فأصناف الحروف التي تطلب بها أسباب وجود الشيء أو علله على ما يظهر ثلاثة (لماذا) وجوده و(بماذا) وجوده و(عن ماذا) وجوده)(55). وربط بين الماهية والوجود ، وعد ماهية الشيء المسؤول عنه هي وجودة .وفرق بين استعمال (ماذا) و (بماذا) وهما عنده متفقان في إن يكونا عبارة عن أشياء واحدة بأعيانها ، وتختلف (ماذا) بأنها يدل عليها من حيث هي بالإضافة وهي معقول ذلك الشيء عندنا ، إما (بماذا) فيدل عليها من حيث هي بالإضافة إلى الشيء نفسه . وقال عن (عن ماذا) بأنها تستعمل للسؤال عن الفاعل والمادة و(لماذا) للغرض والغاية وجمع الثلاثة الأخيرة بأنها تستعمل للمطلوبات المركبة التي هي قضايا(56) . وتحدث الفارابي عن (لم هو) و(ما هو) وقال عنهما : قد يجتمعان أحيانا فيكون المطلوب بهما شيئا واحدا بعينه)(57). وفي نهاية حديثه عن السؤالات الفلسفية فأنه خلص إلى القول بأن جميع السؤالات المذكورة قد تقرن بالمفردات والمركبات باستثناء (ماذا هو) فلا تقرن إلا بالمفردات فقط(58) .

سادسا : حروف السؤال عن العلوم

مثلما افرد الفارابي حقلا للحديث عن السؤالات الفلسفية ، فانه جاء ليتحدث عن حروف السؤال عن العلوم وذكر في أول حديثه سبب وجود الشيء وسبب العلم به . والعلم بالشيء لا يكون إلا بالبرهان . وقد يكون البرهان لأكثر من أمر والتي تكون سببا لوجود الشيء(59). وهذا الكلام لاشك انه فلسفي عميق . والذي يفهم منه أن السؤال عن العلوم بأحرف منها (لم) الذي لابد إن يكون الجواب عليه بالحرف(لأن) فهي علاقة بين سبب وسبب ، ولم ينس الجانب النحوي في الحرف (لم) فقال (واستعمال الحرف " لم " في السؤال عن سبب علمنا بالشيء واعتقادنا له أو قولنا هو بنحو متأخر . فاستعملنا له في السؤال عن سبب وجود الشيء هو بالنحو المتقدم)(60). وعاد الفارابي يتحدث عن (هل) ومن الملاحظ انه شديد الاهتمام بهذا الحرف فقال عنه (وكل طلب

علمي يقرن بحرف "هل" هو طلب سبب الشيء الموضوع الذي عليه يحمل المحمول وما ذلك السبب)(61). و(هل) يستعمل عنده في أمكنة مختلفة فهو مقرون بمفرد يطلب وجوده وكذلك فيما علم به أن ما يفهم عن لفظة هو بعينه خارج النفس . والسؤال بحرف (هل) فانه يبغي منه طلب تلك الأسباب التي تعطيها تلك الصناعة في الأشياء التي فيها تنظر . وربط استعمال (هل) بالفرق الفلسفية (فالسفسطائية) تستعمل السؤال بـ (هل) في ثلاثة أمكنة أحدها عند التشكيك السفسطائي والثاني عندما تتشبه بصناعة الجدل أو تغالط وتوهم إن صناعتها هي صناعة الأرتياض ، والثالث عندما تتشبه بالفلسفة وتوهم أنها هي صناعة الفلسفة)(62). والصنائع القياسية هي خمس عنده ولأسئلتها أضرب عند الفارابي (ففي الفلسفة سؤال برهاني وفي الجدل سؤال جدلي وفي السفسطة سؤال سفسطائي وفي الخطابة وفي الشعر سؤال شعري)(63).

سابعا : النسبة والإضافة

يبدو لي إن الفارابي لم يتعرض إلى النحو الوظيفي في كتابه الحروف إلا في كلامه عن النسبة والإضافة ولم يغنهما بشيء جديد بل ظل كلامه متعلقا بالمسائل الفلسفية ، وبما أن العلم عنده هو علم للمعلوم والمعلوم معلوم للعلم . وأنواع العلم لا يوجد لها اسم من حيث لها أنواع الإضافة الذي يكون العلم جنسها ، وكان له كلام عن النحو فقال : فلذلك ليس يمكن إن يقال (النحو نحو لشيء هو معلوم بالنحو)(64). أما حديثه عن النسبية فأن الفارابي قدم في أوله تعريفات مختلفة لها ، فالنسبة عند المهندسين هي (" إضافة في القدر بين عظمين من جنس واحد " ويعنون بقولهم "من جنس واحد" إن تكون إضافة بين سطحين أو خطين أو حجمين . ويعنون بقولهم " في المقدار " المساواة أو الزيادة والنقص)(65). أما أصحاب العدد فنقل عنهم الفارابي تعريفهم الذي هو ("إن النسبة في العدد هو إن يكون العدد جزءا أو أجزاء من عدد أخر" وهذا نوع من أنواع إضافة أخص من الذي يأخذه المهندسون)(66). وأصحاب العدد هنا يقصد بهم الفارابي أصحاب الرياضيات . أما المنطقيون فأنهم يجعلون النسبة أعم من الإضافة التي هي مقولة (ما) يجعلون الإضافة نسبة (ما) ، وبالجملة كل شيئين ارتبطا بتوسط حرف من الحروف التي يسمونها حروف النسبة ، مثل (من) و(على) و(في) يسمون هذه حروف النسبة(67). أما بالنسبة عند النحويين ، فقال الفارابي فيها (على إن اسم الإضافة واسم النسبة يستعملها النحويون في الدلالة

على ما هو أخص من هذه كلها . وكل اسم كان مشكلا بذلك الشكل فأنه دال عندهم على النسبة)(68).

أما النسبة عند الفارابي فهي حالة الجر بحرف الجر وحروف الجر هي حروف النسبة ونستدل عليه من قول الفارابي (وأما سبيله أن يجاب به في جواب "أين الشيء" فانه إنما يجاب فيه أولا بالمكان مقرونا بحرف من حروف النسبة ، وفي أكثر ذلك حرف "في" ، مثل قولنا " أين زيد" فيقال " في البيت " أو "في السوق")(69).أما الإضافة عند الفارابي فقال عنها(والمضافان ينسب كل واحد منهما إلى الأخر بمعنى واحد منهما)(70). وأحيانا لا يتبين معنى الإضافة بين المضافين حين يكون الاسمان دالين على ذاتيهما لا من حيث هما مضافان . وقد أسمى الفارابي ذلك المضافين بالمتباين . مثل الأب والابن أو المالك والمملوك . وعزز قوله بالمثال (كقولنا "ثور زيد" فانه لا الثور ولا زيد يدل على نوع الإضافة التي لأجلها نسب الثور إلى زيد ، بل إن قلنا "إن الثور المملوك زيد مالكه" كان المملوك والمالك هما اسماهما من حيث يوجد ذلك النوع من الإضافة)(71). هذا وقد استعان الفارابي برأي أرسطو القائل (إن المضافين هما اللذان الوجود لهما إنهما مضافان بنوع من أنواع الإضافة) وقد عاب الفارابي على الخطباء والشعراء كونهم يتسامحون في الإضافة فلا يشترطون المعنى الدلالي المشترك بين المضافين بل أنهم (يجعلون لكل اثنين قبل احدهما بالقياس إلى الأخر مضافين)(72). وقد سحب الفارابي هذا الرأي على نحاة العرب فقال (وجميع ما تسمع نحويي العرب يقولون فيها أنها مضافة فأنها داخلة تحت المضاف الذي ذكرناه على الجهات التي عند الخطباء والشعراء) ويخاطب الفارابي قارئ كتابه بقوله(وأنت فينبغي أن لا تسمي المضاف إلا ما كان داخلا تحت الرسم الأخير وهي ما كانت إضافة احدهما إلى الأخر إضافة معادلة)(73).

الخلاصة

على الرغم من الأقوال التي قيلت في نسب الفارابي فيبقى هو من العلماء الذين تفخر بهم الأمة ومن العلماء الذين أحبوا العربية ودافعوا عنها وجعلوها لغة عقيدتهم وعلمهم وارومیتهم . وأن اللغة العربية كانت هي اللسان الوحيد الذي تكلم به الفارابي في مؤلفاته . أما كتاب الحروف الذي يعد مفخرة تعتز به المكتبة العربية فأن عنوانه لا يغطي محتواه كون المحتوى يضم مسائل وأفكار فلسفية ولغوية ليس لها علاقة بمصطلح الحرف الذي نعرفه . وهذا لا يقلل من شأن الكتاب ومادته العلمية واللغوية . فقد طوع الفارابي اللغة وألفاظها بما يتناسب مع أفكاره الفلسفية وما تعلمه من

علم المنطق . وتناول الفارابي المصطلح وكيفية وضعه وشروطه وهي أولى الدروس التي وضعها العرب في تناول المصطلح . ومن المسائل الأخرى في الكتاب نرى أن الفارابي قد ربط بين النحو والمنطق وبنى كثيرا من الآراء النحوية على المنطق فهو لم يتناول النحو بطريقة النحاة التقليدية بل نحى منحى خاصا به وكان تأثره بالفلسفة اليونانية واضحا على أفكاره واجتهاداته فهو يبحث بالمعاني الثانوية والمجازية للحروف والأدوات وكان لعلم الدلالة بمفهومه الحديث وجود في لغة الفارابي وعلميته التي لا يختلف اثنان في أصالتها ورصانتها .

الهوامش

1. وفيات الأعيان 153/5
2. الفارابي وحضارته الإنسانية 456
3. عيون الأنباء 3/225
4. وفيات الأعيان 3/227
5. عيون الأنباء 3/227
6. الفارابي والحضارة الإنسانية 404
7. الكتاب 2/1
8. المقتضب 3/1
9. ينظر مفتاح العلوم 202
10. شرح الكافية 10/1
11. ينظر الكتاب 43/1 ، 160/1 ، 168/1 ، 230/2 ، 231/2 ، 390/2
12. ينظر المصدر نفسه 128
13. ينظر مقدمة كتاب الحروف 45
14. ينظر الحروف 145.148
15. ينظر كتاب الحروف 63 ، 83 ، 93 ، 95 ، 97 ، 100 ، 113 ، 116 ، 127
16. الحروف 138 . 139
17. الحروف 137
18. الحروف 143
19. ينظر كتاب الحروف 147
20. ينظر المزهر 212/1
21. ينظر الحروف 77
22. ينظر الحروف 74.78
23. الحروف 78

24. ينظر الحروف 73.72
25. ينظر الحروف 113
26. ينظر الحروف 114.113
27. ينظر الحروف 115
28. الحروف 77
29. الحروف 138
30. الحروف 148
31. ينظر كتاب الحروف (المقدمة) 29
32. الحروف 46.45
33. ينظر مصادر المصطلحات العلمية عند العرب 98
34. الحروف 61
35. ينظر الحروف 61
36. الحروف 62
37. الحروف 166
38. ينظر الحروف 168.167
39. ينظر الحروف 174
40. ينظر الحروف 181
41. الحروف 182
42. الحروف 183
43. الحروف 190
44. ينظر الحروف 191
45. ينظر الحروف 194.193
46. الحروف 194
47. الحروف 195
48. الحروف 198.197
49. ينظر الحروف 200
50. ينظر الحروف 201
51. ينظر الحروف 202
52. الحروف 206
53. الحروف 205
54. ينظر الحروف 206.205
55. الحروف 206

56. ينظر الحروف 212
57. ينظر الحروف 212
58. الحروف 213
59. الحروف 216
60. الحروف 224
61. الحروف 226
62. الحروف 87
63. الحروف 82
64. الحروف 83
65. الحروف 84
66. الحروف 88
67. الحروف 85
68. الحروف 86
69. الحروف 87
70. الحروف 88
71. الحروف 83
72. الحروف 86

المصادر

1. الحروف . أبو نصر الفارابي / ت . محسن مهدي . دار المشرق . بيروت . د . ت.
2. دراسات في اللغة والنحو / د. عدنان محمد سلمان . مطابع دار الحكمة 1991 / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / بغداد .
3. شرح الكافية لأبن الحاجب / رضي الدين الأستربادي . دار الكتب العلمية . بيروت 1310هـ .
4. الفارابي وحضارته الإنسانية / وزارة الأعلام . الجمهورية العراقية . مطابع دار الحرية . بغداد . 1975.1976 .
5. الكتاب / سيبويه . مطبعة بولاق . القاهرة ، د . ت .

6. المزهر في علوم اللغة وأنواعها / السيوطي . ت . محمد احمد جاد المولى . علي محمد البجاوي / محمد أبو الفضل . مطبعة عيسى الجلبي . د . ت .
7ـ مصادر المصطلحات العلمية عند العرب / د. عبد الله الجبوري ت جامعة صدام للعلوم الإسلامية . بغداد 2002 .
8. مفتاح العلوم / السكاكي . المطبعة الأدبية . مصر 1317هـ .
9. المقتضب/ المبرد . ت. محمد عبد الخالق عضيمة . المجلس العلى للشؤون الإسلامية . القاهرة 1385هـ .
10. وفيات الأعيان / أبن خلكان . المطبعة اليمنية . مصر 1310هـ .